

12778 - المكافئات

السؤال

هل كشف الإلهام حقيقي في ضوء الإسلام؟ الصوفيون يدعون كل مرة أن عندهم العلم بالغيب وهم يطلقون على ذلك "كشف الإلهام" ، والبعض يبررون ذلك قائلين أنه عندما كان عمر رضي الله عنه يخطب ذات مرة قال أن هناك جيش في ساحة المعركة ، أرجو توضيح ذلك.

الإجابة المفصلة

أولاً:

الكشف الذي يحصل للمرء أنواع ، فمنه النفسي وهو مشترك بين المسلم والكافر ، ومنه الراحماني وهو الذي يكون عن طريق الوحي والشرع ، ومنه الشيطاني وهو ما يحصل عن طريق الجن .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

نحن لا ننكر أن النفس يحصل لها نوع من الكشف إما يقظةً وإما مناماً بسبب قلة علاقتها مع البدن إما برياضة أو بغيرها ، وهذا هو الكشف النفسي وهو القسم الأول من أنواع الكشف .

لكن قد ثبت أيضاً بالدلائل العقلية مع الشرعية وجود الجن وأنها تخبر الناس بأخبار غائية عنهم كما للكهان المتصوفين وغيرهم ...

ولكن المقصود هنا أنه يعلم وجود أمور منفصلة مغايرة لهذه القوى كالجن المخبرين لكثير من الكهان بكثير من الأخبار وهذا أمر يعلمه بالضرورة كل من باشره أو من أخبره من يحصل له العلم بخبره ونحن قد علمنا ذلك بالاضطرار غير مرة فهذا نوع من المكافئات والإخبار بالغيب غير النفسي وهو القسم الثاني من أنواع الكشف .

وأما القسم الثالث : وهو ما تخبر به الملائكة فهذا أشرف الأقسام كما دلت عليه الدلائل الكثيرة السمعية والعقلية ، فالإخبار بالمغيبات يكون عن أسباب نفسانية ويكون عن أسباب خبيثة شيطانية وغير شيطانية ويكون عن أسباب ملوكية .

"الصفدية" (ص 187 - 189) .

وقال ابن القيم :

الكشف الجزئي مشترك بين المؤمنين والكافر والأبرار والفحار كالكشف عما في دار إنسان أو عما في يده أو تحت ثيابه أو ما حملت به أمراته بعد انعقاده ذكراً أو أنثى وما غاب عن العيان من أحوال البعد الشاسع ونحو ذلك فإن ذلك يكون من الشيطان تارة ، ومن النفس

تارة ، ولذلك يقع من الكفار كالنصارى وعابدي النيران والصلبان فقد كاشف ابن صياد الثبّي صلى الله عليه وسلم بما أضمره له وخبأه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم " إنما أنت من إخوان الکهان " ، فأخبر أن ذلك الكشف من جنس كشف الکهان ، وأن ذلك قدره ، وكذلك مسيلمة الكذاب مع فرط كفره كان يكشف أصحابه بما فعله أحدهم في بيته وما قاله لأهله يخبره به شيطانه ليغوي الناس ، وكذلك الأسود العنسي ، والحارث المتنبي الدمشقي الذي خرج في دولة عبد الملك بن مروان وأمثال هؤلاء من لا يحصيهم إلا الله ، وقد رأينا نحن وغيرنا منهم جماعة وشاهد الناس من كشف الرهبان عباد الصليب ما هو معروف .

والكشف الرحمنى من هذا النوع هو مثل كشف أبي بكر لما قال لعائشة رضي الله عنهم إن امرأته حامل بأنثى ، وكشف عمر رضي الله عنه لما قال يا سارية الجبل - أي إلزم الجبل - وأضعاف هذا من كشف أولياء الرحمن .

" مدارج السالكين " (3 / 227 ، 228) .

ثانياً :

وما حدث مع عمر بن الخطاب رضي الله صحيح ثابت عنه ، فقد قال نافع أن عمر بعث سرية فاستعمل عليهم رجالاً يقال له " سارية " ، فبينما عمر يخطب يوم الجمعة ، فقال : " يا سارية الجبل ، يا سارية الجبل " ، فوجدوا " سارية " قد أغار إلى الجبل في تلك الساعة يوم الجمعة وبينهما مسيرة شهر " .

رواه أحمد في " فضائل الصحابة " (1 / 269) ، وصححه الشيخ الألباني في " السلسلة الصحيحة " (1110) .

وهذا كرامة لعمر رضي الله عنه وذلك إما بإلهامه وتبلغ صوته - وهو ما يراه ابن القيم - أو بالكشف النفسي وتبلغ صوته - وهو ما سيأتي في كلام الشيخ الألباني - ، وفي كلام الحالين هو كرامة له ولا شك .

ثالثاً :

وأما ما يحصل مع الصوفية فليس من الكشف الرحمنى بل إما أن يكون من النفسي وهو ما يشركهم به الكفار ، وإما أن يكون الشيطانى وهو الأغلب .

والكشف الرحمنى إنما يحدث لأولياء الله تعالى الذين يقيمون الشرع ويعظمونه ، وقد عُرف من حال الصوفية أنهم ليسوا كذلك ، وما حصل من عمر إن صح تسميته " كشفاً " فهو من الكشف الرحمنى .

قال الشيخ الألباني - عن حادثة عمر بن الخطاب - :

ومما لا شك فيه أن النداء المذكور إنما كان إلهاماً من الله تعالى لعمر ، وليس ذلك بغرير عنده فإنه " محدث " كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن ليس فيه أن عمر كشف له حال الجيش ، وأنه رأهم رأي العين ، فاستلال بعض المتتصوفة بذلك على ما يزعمونه

من الكشف للأولياء وعلى إمكان اطلاعهم على ما في القلوب : من أبطل الباطل ، كيف لا وذلك من صفات رب العالمين المنفرد بعلم الغيب والاطلاع على ما في الصدور .

وليت شعري كيف يزعم هؤلاء ذلك الزعم الباطل والله عز وجل يقول في كتابه : {عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا} . إلا من أرْتَصَى مِنْ رَسُولٍ}. الجن / 26 ، 27 ؟ فهل يعتقدون أن أولئك الأولياء رسل الله حتى يصح أن يقال إنهم يطلعون على الغيب باطلاع الله إياهم ؟! سبحانك هذا بهتان عظيم

فالقصة صحيحة ثابتة ، وهي كرامة أكرم الله بها عمر ، حيث أنقذ به جيش المسلمين من الأسر أو الفتك به ، ولكن ليس فيها ما زعمه المتتصوفة من الاطلاع على الغيب ، وإنما هو من باب الإلهام (في عرف الشرع) أو (التخاطر) في عرف العصر الحاضر الذي ليس معصوماً ، فقد يصيب كما في هذه الحادثة ، وقد يخطئ كما هو الغالب على البشر ، ولذلك كان لا بدًّ لكل ولية من التقييد بالشرع في كل ما يصدر منه من قول أو فعل خشية الوقوع في المخالفة ، فيخرج بذلك عن الولاية التي وصفها الله تعالى بوصف جامع شامل : {أَلَا إِنَّ أَوْلَيَاءَ اللَّهِ لَا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}. يونس / 63 ، ولقد أحسن من قال :

إذا رأيت شخصاً قد يطير فوق ماء البحر قد يسير

ولم يقف على حدود الشرع فإنه مُسْتَدْرَجٌ وبداعي .

" السلسلة الصحيحة " (3 / 102 - 104) .

والله أعلم .